

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[394] تفرحوا بما آتاكم (1). فلم يكن لهم تعلق بما كان في أيديهم سابقاً ، ولا يصيبهم الغم والحزن في اليوم الذي سيفارقونه ، فإنَّ روحهم أكبر ، وفكرهم أسمى من أن تؤثر فيهم مثل هذه الحوادث في الماضي والمستقبل. على هذا الأساس فإنَّ الأمن والطمأنينة الواقعية هي الحاكمة على وجودهم ، وعلى حدِّ قول القرآن: (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) (2) ، وبتعبير آخر: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (3). والخلاصة هي أنَّ الحزن والخوف عند البشر يتولدان عادة من حبِّ الدنيا ، فمن الطبيعي أن لا يصيب هؤلاء الذين نفضوا أيديهم وقلوبهم من حبها خوف ، أو حزن. كان هذا هو البيان الإستدلالي للمسألة ، وقد يعرض هذا الموضوع أحياناً ببيان آخر يتخذ شكلاً عرفانياً بهذه الصورة: إنَّ أولياء الله غارقون في صفات جماله وجلاله ، وذائبون في مشاهدة ذاته المقدسة إلى الحدِّ نسوا كل شيء غيره ، ومعلوم أنَّ الغم والحزن والخوف والوحشة تحتاج حتماً إلى تصور فقدان وخسارة شيء ما ، أو مواجهة عدو أو موجود خطر ، فمن لم يجعل لغير الله مكاناً في قلبه ولا طريقاً إلى فكره ، ولا يقبل في روحه إلاَّ له غيره ، كيف يمكن أن يغتم ويخاف ويستوحش؟ لقد اتَّضحت ممَّا قلناه هذه الحقيقة أيضاً ، وهي أنَّ المقصود من الغموم هي الغموم المادية والأخاوية الدنيوية ، وإلاَّ فإنَّ وجود أولياء الله مملوء بالخوف والخشية .. الخوف من عدم أداء الواجبات والمسؤولية. والأسف والحسرة على أن يكون قد فاتهم شيء من الموفقية ، ولهذا الخوف والحسرة صفة معنوية ، فهما أساس تكامل وجود الإنسان ورفيقه ، بعكس الخوف والحزن الدنيويين فهما

(1) الحديد ، 23. (2) الأنعام ، 82. (3) الرعد ، 28.